

محمد عطية الإبراشي

قِصَّةُ

عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قِصَصُ إِسْلَامِيَّةٍ لِلأَطْفَالِ

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجحجحا

مطبعة الطبع والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قِصَّةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

بُنَى الْعَزِيزِ :

سَأَذْكُرُ لَكَ الْآنَ قِصَّةَ أَكْثَرِ خُلَيفَةٍ فِي
بَنِي أُمَيَّةَ ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، خَامِسُ
الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ .

أَبُوهُ وَأُمُّهُ :

أَبُوهُ هُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَأُمُّهُ لَيْلَى
بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ . فَجَدُّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ .

وَقَدْ تَعَجَّبُ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّهُ وَلَدٌ بِحُلُوتٍ
 - وَهِيَ ضَاحِيَةٌ مِنْ ضَوَاحِي الْقَاهِرَةِ - سَنَةِ ٦١
 لِلْهِجْرَةِ ، وَلِهَذَا نَعُدُّهُ مِصْرِيًّا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ ، وَإِنْ
 كَانَ عَرَبِيًّا الْأَصْلَ .

تَرْبِيَّتُهُ :

تَرَبَّى عُمَرُ تَرْبِيَّةَ عِزٍّ وَكَرَمٍ ؛ لِأَنَّ أَبَاهُ
 عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ كَانَ حَاسِكًا لِمِصْرَ ،
 وَقَدْ عُنِيَ بِتَرْبِيَّتِهِ كُلَّ الْعِنَايَةِ مِنَ الصَّغَرِ .
 وَأَحْضَرَ لَهُ مَنْ عَلَّمَهُ الْقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ وَالذِّيَانَةَ ،
 وَلَمَّا كَبُرَ أَرْسَلَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لِيُتِمَّ
 تَعْلِيمُهُ بِهَا . فَأَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ .
 وَقَدْ تَأَثَّرَ بِمَا تَعَلَّمَ وَمَا حَفِظَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ،
 وَمَا دَرَسَ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ، وَالْدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ .

— ٥ —
وَصَارَ عَالِمًا مُؤْمِنًا إِيْمَانًا صَادِقًا .

وَكَانَ يُشَبِّهُ جَدَّهُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي
الزُّهْدِ وَحُسْنِ التَّفْكِيرِ وَعَظَمَةِ الْخُلُقِ ، وَالْخَوْفِ
مِنَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ وَمَا يَفْعَلُ .

وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ خَالِهِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ عُمَرَ فِي عِلْمِهِ وَزُهْدِهِ ، وَصَلَاتِهِ وَتَقْوَاهُ .

عُمَرُ وَوَفْدُ التَّهْنِئَةِ :

تَوَلَّى عُمَرُ الْخِلَافَةَ سَنَةَ ٩٩ مِنْ الْهِجْرَةِ ،
فَتَضَاقَقَ ، لِأَنَّ فِيهَا تَبَعَاتٍ عَظِيمَةً ، وَتَرَكَ
زِينَةَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا ، وَجَاءَ إِلَيْهِ الشُّعْرَاءُ
لِيَهْنِئُوهُ بِقِصَائِدِهِمْ ، فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمْ ، وَقَالَ
لِابْنِهِ : قُلْ لَهُمْ : " إِنِّي أَخَافُ - إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي -
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ " (سورة يونس) .

وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِثْلَ غَيْرِهِ
 مِمَّنْ سَبَقُوهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يُكْرِمُونَ
 الشُّعْرَاءَ كُلَّ الْإِكْرَامِ لِيَمْدَحُواهُمْ فِي شِعْرِهِمْ ،
 فَلَمْ يُعْطِ جَرِيرًا الشَّاعِرَ إِلَّا أَرْبَعَةَ دَنَابِيرَ ،
 وَقَالَ لَهُ : خُذْهَا فَإِنَّهَا وَاللَّهِ مِنْ مَالِي الْخَاصِّ .
 فَخَرَجَ جَرِيرٌ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ لِلشُّعْرَاءِ :
 جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَلِيفَةٍ يَمْنَعُ الشُّعْرَاءَ (أَيْ
 لَا يُعْطِيهِمْ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِ الْأُمَّةِ) ، وَيُعْطِي
 الْفُقَرَاءَ ، وَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ (كُلُّ الرِّضَا) .
 وَجَاءَ إِلَيْهِ وَفُودُ (جَمَاعَاتُ) كُلِّ بَلَدٍ
 لِتَهْنِئَتِهِ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَفَدُ أَهْلِ الْحِجَازِ ،
 فَقَامَ مِنْهُمْ غُلَامٌ لِلْكَلامِ .
 فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا غُلَامُ يَجِبُ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَنْ
 هُوَ أَكْبَرُ سِنًا مِنْكَ .

فَقَالَ الْغُلَامُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا الْمَرْءُ
 (الْإِنْسَانُ) بِأَصْغَرِيهِ : قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ . فَإِذَا مَنَحَ
 (أَعْطَى) اللَّهُ الْعَبْدَ (الْإِنْسَانَ) لِسَانًا لَا فِظًا
 (قَادِرًا عَلَى التَّكَلُّمِ) وَقَلْبًا حَافِظًا ، فَقَدْ
 اسْتَحَقَّ الْكَلَامَ . وَلَوْ كَانَتْ الْأُمُورُ بِالسِّنِّ
 لَكَانَ هَاهُنَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْكَ بِمَجْلِسِكَ
 (بِمَكَانِكَ) هَذَا

فَقَالَ عُمَرُ : صَدَقْتَ . تَكَلَّمْ ، فَهَذَا هُوَ
 السَّحَرُ الْحَلَالُ . (أَيُّ الْكَلَامِ الْحَسَنُ) .
 فَقَالَ الْغُلَامُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ وَفْدُ
 التَّهْنِئَةِ ، لَا وَفْدُ التَّعْزِيَةِ (بِمَوْتِ ابْنِ عَمِّكَ
 سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ) .
 وَلَمْ يَقْدَمْ (يَحْضُرْ) أَحَدٌ مِنَّا إِلَيْكَ رَغْبَةً
 (فِي طَلَبِ شَيْءٍ) وَلَا رَهْبَةً (خَوْفًا مِنْ شَيْءٍ) ؛

لَأَنَّا قَدْ أَمِنَّا فِي أَيَّامِكَ مَا خِفْنَا ، وَأَذْرَكْنَا
(فَلْنَا) مَا طَلَبْنَا .

فَأُعْجِبَ عُمَرُ بِكَلَامِهِ ، وَسَأَلَ عَنْ عُمُرِهِ ،
فَقِيلَ لَهُ : عَشْرُ سِنِينَ .
فَقَالَ عُمَرُ : اِرْفَعُوا هَذَا الْغُلَامَ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِ .

عُمَرُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ :

كَانَ عُمَرُ وَهُوَ شَابٌّ يُحِبُّ النَّعِيمَ ، وَيُحْسِنُ
اخْتِيَارَ الْمَلَابِيسِ الْغَالِيَةِ ، وَالطَّعَامِ اللَّذِيذِ ،
وَالجَوَادِ (الْحِصَانِ) الْعَرَبِيِّ الَّذِي يَرْكَبُهُ ،
وَالْعِطْرِ (الطَّيِّبِ) الَّذِي يَتَعَطَّرُ بِهِ مِثْلَ غَيْرِهِ
مِنْ أَبْنَاءِ الْأُمَرَاءِ وَالْعُظَمَاءِ .

ماذا فعل عُمرُ حينما تولى الخلافة ؟

كَانَ خُطْبَاءُ الْمَسَاجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَخْتِمُونَ
خُطْبَهُمْ بِلَعْنِ الْإِمَامِ (الْعَظِيمِ الْعَالِمِ) عَلِيٍّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - حَتَّى يُؤَثِّرُوا
فِي النَّاسِ ، وَيَرْبُّوهُمْ عَلَى كَرَاهَتِهِ وَكَرَاهَةِ
أَوْلَادِهِ ، فَأَمَرَ عُمَرُ الْخَلِيفَةُ الْعَادِلُ بِتَرْكِ هَذِهِ
الْجَرِيمَةِ الْقَبِيحَةِ ، وَأَنْ يَخْتِمُوا خُطْبَهُمْ بِقَوْلِ
اللَّهِ تَعَالَى :

” إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ^(١) وَالْإِحْسَانِ ^(٢) وَإِيتَاءِ ^(٣)
ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ^(٤) وَالْمُنْكَرِ ^(٥)

(١) التَّوْحِيدُ أَوِ الْإِنْصَافُ . (٢) أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَعِبَادَةُ اللَّهِ بِإِخْلَاصٍ .

(٣) التَّصَدُّقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ مِنَ الْأَقَارِبِ . (٤) الزِّنَى .

(٥) الْكُفْرُ وَالْمَعَاصِي .

وَالْبَغْيُ^(١)، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ^(٢)“ . سُورَةُ النُّحْلِ .
وَقَدْ جَمَعْتُ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ أَحْسَنَ
الْفَضَائِلِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ ،
وَأَقْبَحَ الرِّذَائِلِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَبْتَغِدَ عَنْهَا .
فَهَذِهِ أَجْمَعُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

مُعَامَلَتُهُ لِرَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ :

وَكَانَ عِنْدَ زَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ
كَثِيرٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْعَالِيَةِ ، فَحَدَّثَهَا فِي التَّنَازُلِ
عَنْهَا لِبَيْتِ الْمَالِ ، فَأَجَابَتْهُ إِلَى رَغْبَتِهِ ، بِنَفْسٍ
رَاضِيَةٍ . وَصَارَتْ مَثَلًا كَرِيمًا لِلنَّفَقَى وَالْخَوْفِ
مِنَ اللَّهِ كَزَوْجِهَا .

وَذَاتَ يَوْمٍ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ ابْنَتَهُ لَوْلُوءَةً ، وَرَجَّتُهُ

(١) الظُّلْمُ لِلنَّاسِ . (٢) تَتَعَذَّرُونَ .

أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهَا لَوْلُؤَةً أُخْرَى مِثْلَهَا ، لِتَجْعَلَهَا
فِي أُذُنَيْهَا .

فَأَرْسَلَ لَهَا جَمْرَتَيْنِ مِنَ النَّارِ ، وَقَالَ لَهَا :
إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلِي هَاتَيْنِ الْجَمْرَتَيْنِ فِي
أُذُنَيْكَ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ لَوْلُؤَةً أُخْرَى .

وَقَدْ بَلَغَهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَنَّ ابْنًا لَهُ
اشْتَرَى فَصَّ خَاتَمٍ بِأَلْفٍ دِرْهَمٍ ، فَأَمَرَهُ
أَنْ يَبِيعَ هَذَا الْخَاتَمَ ، وَيَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهِ ،
وَلِيَشْتَرِيَ خَاتَمًا آخَرَ بِدِرْهَمٍ ، وَيُنْقُشَ عَلَيْهِ :
رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَهُ .

وَيُحْكِي أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ كَانَ يُقَسِّمُ تُفَاحًا
لِلْمُسْلِمِينَ . وَحِينَما كَانَ يُقَسِّمُهُ وَيُفَرِّقُهُ عَلَى
مَنْ يَسْتَحِقُّهُ ، أَخَذَ ابْنُ صَغِيرٍ لَهُ تُفَاحَةً ،
فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ ، وَأَخَذَ التُّفَاحَةَ مِنْ فَمِهِ ،

وَوَضَعَهَا فِي التُّفَاجِ .

فَذَهَبَ الْوَلَدُ إِلَى أُمِّهِ وَهُوَ يَبْكِي فَلَمَّا عَلِمَتْ
السَّبَبَ ، أَرْسَلَتْ إِلَى السُّوقِ ، فَاشْتَرَتْ لَهُ
تُفَاحًا .

فَلَمَّا رَجَعَ عُمَرُ شَمَّ رَائِحَةَ التُّفَاجِ ، فَقَالَ
لِزَوْجَتِهِ : يَا فَاطِمَةُ ، هَلْ أَخَذْتَ شَيْئًا مِنْ
تُفَاجِ الْمُسْلِمِينَ ؟

فَأَجَابَتْ : لَا . وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا حَدَثَ .

فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَقَدْ انْتَرَعْتُهَا مِنْ ابْنِي ،
فَكَأَنَّمَا انْتَرَعْتُهَا مِنْ قَلْبِي . لَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ
أُضِيعَ نَفْسِي بِسَبَبِ تُفَاحَةٍ مِنْ تُفَاجِ الْمُسْلِمِينَ .
رَحِمَكَ اللَّهُ يَا عُمَرُ .